مُقَدّمة

يفترض من النحو الذي هو في جوهره انتحاء سمت كلام العرب ليلحق بهم من ليس منهم كما انتهى إلى ذلك اللسانياتي العربي "ابن جني" توظيف اللغة التي تستعمل للتواصل بنوعيه العادي الذي يستخدم تراكيب إسنادية مغلقة، دوالها على أقدار مدلولاتها، والراقي الذي يستخدم تراكيب إسنادية محولة مفتوحة، يتطلب استكناه معانيها اللجوء إلى بنياتها العميقة المتوارية خلف بنياتها السطحية. ولما كان التواصل في هذه اللغة العربية وبخاصة الراقي منه يوظف في الغالب الجمل والوحدات الإسنادية المحولة وجدنا أنه في سبيل الوصول إلى ذلك وبخاصة في المرحلة الثانوية ينبغي لنا الفكاك من أسر النظرية السلوكية القائمة على تعليم تراكيب إسنادية بأعيانها لأن هذه النظرية لا تصلح لتعلم الناشئة اللغة العربية المستعملة في التواصل الراقي.

كما أن تناول هذه التراكيب الإسنادية الأصلية، ومعالجتها في ثانوياتنا لم تكن تلبي الحاجات المسيسة لتلاميذنا، ولم تكن تستجيب للطرائق التربوية الحديثة. حيث يسجل انفصال بين الجانب النظري والجانب التطبيقي. ومن منطلق الخلل الذي في المنهاج في نشاط النحو الذي أسيء فهمه فكان أن ابتعد عن الهدف الأسمى المتوخى منه جاء هذا البحث لإيلاء العناية لعناصر العملية التعلمية ممثلة في المعلم والمتعلم والمحتوى والطريقة وأساليب التقويم ابتغاء وضع العلاج المتوائم مع ما تدعو إليه النظرية اللغوية التشومسكية التي تنسجم وخصيصتي اللغة العربية المتمثلتين في مرونتها واعتمادها التراكيب اللسانية المحولة حين التواصل بها التواصل البليغ.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسماً إلى تمهيد وثلاثة فصول. فالتوطئة الموسومة بـ "كيفية التحليل اللساني لبنية الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية" يسعى الباحث إلى جعلها تنطوي على مفهوم دقيق نتبناه لكل من التركيب الإسنادي المقصود لذاته، والتركيب غير المستقل بنفسه، مع تحديد طبيعة كل نوع، والمصطلح الذي يصلح له.

والفصل الأول: الذي عنوانه: ما الذي يحتاج إليه مدرس النحو وينبغي له أن يتسلح به ولماذا؟ يتطرق إلى الكفاية والأداء من حيث مفهومهما باعتبار أنهما يمثلان القدر الذي لا ينبغي لمدرس النحو قوام مطالب المنهاج البيداغوجية أن يجهله، لأن الكفاية هي التي يتم بواسطتها تأدية صور الجمل والوحدات الإسنادية المراد التواصل بها في عصر أصبحنا فيه نتعلم اللغة صنعة لا طبعاً، ثم إن المدرس الموكول إليه تدريس هذه التراكيب ما لم يكن معداً إعداداً كيفياً، يمتلك فيه رؤية صحيحة وفهماً ثاقباً لأصول النحو العربي، ويعي أبعادها سيظل أسير سطحية التناول، ومن ثم فإنه لا يوفق في أداء رسالته على الوجه المتوخى.

ولما كان البحث يحاول أن يقدم للقارئ الأصول السليمة التي أنشئت عليها التراكيب الإسنادية الأصلية، لم يجد بداً من أن يشرح الشرح الذي يراه سديداً لمفهوم التحويل بأنواعه الأربعة، الذي أسيء فهمه، وترتب على ذلك أن التبس الفرق الذي بين الجملة أوالوحدة الإسنادية الفعلية وقسيمتها الاسمية من نحو" البحث تيسر" أهي محولة بالاستبدال أم بالتقديم؟. كما أن مفهوم التحويل الذي يصلح لأن تدرس به كل التراكيب الإسنادية العربية المحولة لم يكن واضحاً حتى لدى دارسين أشداء، على نحو يسجل فيه أن دراسات لسانية تعاملت مع جمل محولة وعدتها توليدية

وحيث إن التحويل بأنواعه الأربعة مرتبط بالقياس الذي يريده النحويون العرب مطرداً، لم يكن بد من أن يعرض البحث له ولنظرية الحمل التي تحاول إدخال المسائل الخارجة عن القاعدة إلى حيز القاعدة. ولأن نظرية الحمل تساعد على فهم البنيات العميقة لكل الوحدات الإسنادية الوظيفية التوليدية والمحولة لكونها جميعاً محمولة على المصادر والمشتقات التي تعاقبتها. ويختم الفصل بعرض كيفية تدريس الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية بالصور بوصفها معالم للتراكيب النحوية، ومنطلقات للانتحاء السليم لسمت مجاري كلام العرب لمن يريد أن يلحق بالعرب.

والفصل الثاني يعرض البحث لدراسة وتحليل المدونة المتمثلة في المنهاج من حيث مطالبه البيداغوجية والأهداف التي يتوخاها من دروس الجملة والوحدة الإسنادية، ومن حيث المضامين التي اختارها لتحقيق تلك الأهداف، وكذا من حيث الطرائق وأساليب

التقويم في ضوء بيداغوجية التدريس الهادف التي تبناها. حيث يقوم ببسط مضمون المادة المدرجة من صور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في منهاج اللغة العربية وآدابها في التعليم الثانوي، من حيث الكم، والكيف، وطريقة تقديمها بالتحليل والتقويم للخروج من كل ما تقدم بمشروع اقتراح يكون كفيلاً بتلبية الحاجات الملحة لتلاميذ المرحلة الثانوية من هذه المادة، يكون هذا المقترح قد استرشد باللسانيات التطبيقية التي توصي باتباع الطرائق التربوية التي تتوخى التبسيط والتسهيل ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

والفصل الثالث سيكون مداره حول المقترحات التي من شأنها أن تذلل تلك الصعوبات، وتعمل على تحسين مردودية هذه الدروس. ففي ما يخص المضمون يسعى البحث إلى تقديم كيفية يمكن أن تصنف في ضوئها دروس الجملة والوحدة الإسنادية وذلك بعرض مشاريع توضيحية لتلك الدروس وما يدرج فيها بالنسبة إلى الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية. وفيما يخص الطريقة يسعى البحث إلى تقديم مقترح يمس زاويتين فيها. زاوية الأمثلة. وإعطاء بعد للتعلم بواسطة التمارين والانغماس اللغوي. وفيما يتعلق بأساليب التقويم يحاول تقديم مقترح ينتظم أشكالاً فاعلة في التقويم التربوي.

ولما كان التدريس بواسطة الأهداف مسعى المنهاج لم يكن مناص من الوقوف عند نموذجه مبرزين مزاياه ودواعي إيثاره وانتشاره مع الحرص على تبيين العناصر التي يتكئ عليها، واقفين على مستوى الأهداف ومضامينها مركزين على الأهداف الإجرائية السلوكية من حيث مفاهيمها ومواصفاتها وكيفية صياغتها المستندة إلَى التقنية التي وضعها ماجر في كتابه " الأهداف التربوية ".

وحيث إن مجال دروس صور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية معرفياً لم يكن بد من أن نقف عند صنافة " بلوم " ذات المستويات الستة التي أملى منهج التيسير أن نمثل لها بتقديم نماذج تطبيقية ميسرة لها ولأسئلتها التي ترتقي بارتقائها.

وحتى يكون البحث وفياً لمبدإ التيسير الذي قطعه على نفسه نجده يسعى إلى أن يختم الفصل بعرض مقترح عملي متضمن مذكرة نموذجية ميسرة لدرس من دروس صور الوحدة الإسنادية المؤدية وظائف نحوية وفق بيداغوجية التدريس الهادف، لتكون

مترجمة كل ما تم إيضاحه. وستختم الرسالة بخاتمة تتضمن النتائج التي تفضي إليها الدراسة المنشودة. ذلك هو التيسير الذي انشدناه من تدريس صور الجملة والوحدة الإسنادية لتلاميذ المرحلة الثانوية، وأمام ذلك ندعو الدارسين إلى أن يكون عملنا هذا مدعاة اهتمام أوسع بأن يثروه أو يصوبوه ويقوموا ما به من اعوجاج خدمة للغة العربية والتربية الوطنية اللتين لئن أسيء إليهما ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون.

والله نسأل أن يكون معلمونا ومتعلمونا قد فهموا صور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية التي نرجو أن نكون قد بيناها بطريقة فيها التيسير الذي يقتضيه النحو الذي هو في جوهره انتحاء سمت كلام العرب، وبطريقة فيها البصيرة التي تقتضيها اللسانيات التي تتوخى الفاعلية في الوصول بالمتعلم إلى سمت كلام العرب للتعبير عما يلبي حاجاته فهماً وإفهاماً. فلئن حقق بحثنا هذا فذلك أقصى ما كنا نصبو إليه. وإن لم نوف الموضوع حقه، فحسبنا أننا لم ندخر جهداً. والله الموفق إلى سواء السبيل.

د. رابح بومعزة

obeikandl.com